رُوَّادُ العَدَالَة

أُمثِلَةٌ وحِكَايَاتٌ

تأليف السيد العلامة
القاسم بن الحسن بن القاسم السراجي

الطبعة الأولى
١٤٣٣هـ



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصل الله وسلم على سيدنا محمد وآله .

وبعد :

فإن موضوع العدالة وأهميته أمر يتطلب منا آذاناً سامعه وقلوباً واعية، حيث وأن ((**العدالة**)) تكاد أن تكون مفقودة بل معدومة، فعلى مر السنين التي عشناها والتي نعيشها لم نر لمفهوم العدالة أي تطبيق ولا تنفيذ !!.

فنحن نعاني كثيراً بل الأمة الإسلامية التي لا يعرف شعوبها رجالاً و نساء، كباراً وصغاراً سوى ضجيج من المتاعب والمشاكل لعدم تحقق العدالة ويعود فقداها لأسباب ملخصها إما أننا لم نفهم مفهوم العدالة، وإما أننا أصبنا بتغطية سياسية تسمي نفسها بالعدالة ، وإما أننا لم نُقم للشرع الإلهي أي اعتبار، نقول ولا نعمل، وندعي تطبيق حكم الشرع ونحن عنه أبعد، وعلى كل حال لابد أن نفهم، وإما أن تعوّد الظلم واعتياده جعلنا نغضي عن تطبيق العدالة!!؟؟ فلهذه الأسباب أو غيرها فنحن بحاجة إلى فهم العدالة وتحقيقها .

ولعل القارئ الكريم سيرتشف معنا حكايات وأمثلة قصصية رائعة عن رواد وقواد العدالة وبذلك سنعرف الهدف المنشود من تحقيق مبدأ العدالة وتطبيقها، ونطمح إلى تحقيقها .

وقبل الخوض فيمن تتمثل العدالة وبما تتحقق، وبمن نقتدي في تطبيق العدالة نبدأ بمعرفة حقيقة العدالة وتعريفها، وذكر الآيات القرآنية الدالة على ذلك ونحو ذلك .

أولا: حقيقة العدالة : مصدر عدل بضم الدال عدالة ضد جار، قال الجوهري:

ورجل عدل أي رضي، ومقنع في الشهادة، وقوم عدل وعدول، وهو أيضا الحكم بالحق، فيقال: هو عدلٌ أي مَرضِي. وهُمْ عَدْل، وإنْ شئتَ: عُدُوْلٌ . بين العَدَالَةِ والعُدُوْلَة. وهم أهْلُ المَعْدُوْل والمَعْدَلَة والمَعْدِلَة .

وعِدل الشيءِ وعَدلُه: نَظيره، وفي مثل : " هما عِدْلا عَيْرٍ " أي مُسْتَويان، وعَدَلْتُه به، وهو يُعَادِلُه، وإنْ شئتَ: يَعْدِلُه.

تلخص من هنا أن العدالة في الحقيقة هي الرضا والمساواة، والحكم بالحق وإظهار النصفة من نفسك وتطبيقها عليك وعلى غيرك فيما تحب من الأمور وتكره، وضد العدالة الجور.

الآيات الدالة على الحكم بالعدل والأمر به

وبعد معرفة حقيقة العدالة فقد نصت الآيات القرءانية بصريحها على وجوب العدل ونشره وبثه بين الخلق.

كما قال تعالى ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقِيراً فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً**[1]﴾ .

فهذه آية شاملة تعرفك العدالة وأن خلافها هو اتباع للهوى وإعراض عن الهدى ، فمن لم يحكم بالعدل الذي أمر الله سبحانه به فقد فتن في دينه وضل باتباع هواه وعند ذلك يحكم بحكم الجاهلية استبدالاً لحكم الله سبحانه كما أخبر سبحانه عنهم بقوله ﴿**أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ**[2]﴾ .

وكفى أن العدل هو من الأسس العظيمة لإرسال الرسل كما قال الله سبحانه وتعالى ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ**[3]﴾ والقسط: هو العدل، وقد قال سبحانه وتعالى

---

[1] النساء:١٣٥
[2] المائدة:٥٠
[3] الحديد: من الآية٢٥



﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[٤].

وقال سبحانه:﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾[٥].

وقول الله سبحانه لنبيه الكريم ﷺ ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾[٦] كافٍ لمن عقل وفهم الشرع الشريف.

وقد أمر سبحانه وتعالى أمراً حازماً بالحكم بالعدل بقوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً﴾[٧].

---

[٤] آل عمران:١٨
[٥] صّ:٢٦
[٦] الشورى:١٥
[٧] النساء:٥٨

وهناك من أقام العدل في حكمه وهناك من سيقيم ذلك وقد أخبرنا الله سبحانه بقوله ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾[8] وقوله تعالى ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾[9] ولا يمكن إقامة العدالة في الحكم إلا بتنفيذ أحكام الله سبحانه لذلك قال الله عز سلطانه ﴿وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾[10]

وقال سبحانه: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيماً﴾[11].

وقال سبحانه وتعالى ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾[12]

---

[8] الأعراف:١٥٩
[9] الأعراف:١٨١
[10] المائدة:٤٩
[11] النساء:١٠٥
[12] النساء:٦٥



والآيات كثيرة في كتاب الله لكن أختم بهذا المثل الذي ضربه الله سبحانه لذوي الألباب فقال عَزَّ وَجَلَّ ﴿**وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**[١٣]﴾ يكفي أن الله سبحانه وتعالى قد أمر بالعدل في القليل والكثير اهتماماً بحقوق عباده، وإظهاراً للعدالة وذلك كالنهي عن التطفيف في المكيال والميزان، وأمر بالإشهاد لذوي العدل ونحوهما وفي هذا كفاية .

وأما ما جاء عن رسول الله صلوات الله عليه وآله في العدل قولاً وفعلاً فكثير لا يمكن حصره هنا ، لكن ذلك معلوم مشهور عند الأمة.

أصناف العدالة

اصناف العدل وممثلي العدالة من الخلائق ستة ورفع الله بعضهم فوق بعض درجات كما قال تعالى ﴿**وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ**[١٤]﴾

الأول: الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: فهم أدلاء الأمة ورسل رب العزة، وعمد الدين ومعادن حكم الكتاب، والدعاة إلى

---

[١٣] النحل:٧٦

[١٤] الأنعام: من الآية١٦٥

الحق والصواب، وأمناء الله في خلقه، هم السرج المنيرة الدالة على سبيل الهدى وحملة الامانة عن الله الى خلقه بالهداية، بعثهم الله رسلا الى قومهم وانزل معهم الكتاب والميزان، ولا يتعدون حدود ما أنزل الله اليهم من الاوامر والزواجر ارشاداً وهداية لهم حتى يقوم الناس بالقسط والحق ويخرجوهم من ظلمات الكفر والطغيان الى نور الهداية والايمان، وهم سبب نجاتهم من دركات جهنم الى درجات الجنان.

وميزان عدالة الانبياء -عليهم الصلاة والسلام- الدين المشروع الذي وصاهم الله باقامته في قوله سبحانه وتعالى ﴿ **شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ**[١٥]﴾

فكل أمر من أمور الخلائق دنيا واخرى عاجلا وآجلا قولا وفعلا حركة وسكونا جار على نهج العدالة ما دام موزونا بهذا الميزان الذي أنزله الرحيم الرحمن، ولا تصح إقامة العدالة إلا بالعلم بأحكام

---

[١٥] الشورى:١٣



الشرع واتباع أحكام الكتاب والسنة التي رواها أئمة العترة وصححوها.

الثاني : هم الأئمة الهادون: وهم أئمة الدين ودعاة الخير الذين وصفهم الله تعالى بقوله :

﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ[16]﴾

اقتدوا بالأنبياء، وطبقوا الشرع وأحيوا السنن وجاهدوا من أجل ترسيخ قواعد الدين ونشر العدل بين العالمين أولئك هم سفن النجاة ومصابيح الهدى ونجوم الأرض وأماناها وسيأتي ذكرهم كأمثلة للمقتدين وقصص لأولي الألباب .

الثالث: العلماء الذين هم ورثة الانبياء: فهم الذين فهموا مقامات الانبياء وطريقة الأئمة الهادين وان لم يعطوا درجاتهم لكنهم اقتدوا بهداهم واقتفوا آثارهم إذهم أحباب الله وصفوته من خلقه ومشرق نور حكمته فصدقوا بما جاء به الأنبياء وما سار عليه الأئمة الأولياء فساروا على سبيلهم، وأيَّدوا دعوتهم ونشروا حكمتهم كشفا وفهما، ذوقا وتحقيقا، إيماناً وعلماً بكمال المتابعة لهم ظاهرا وباطنا .

---

[16] الحج: من الآية٤١

فلا يزالون مواظبين على تمهيد قواعد العدل واظهار الحق برفع منار الشرع وإقامة أعلام الهدى والاسلام وإحكام مباني التقوى، فهم مخلصون في مقام العبودية، مجتهدون في اتباع أحكام الشريعة .

﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ*الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[١٧] .

وما ظهر في هذا الزمان من الاختلال في حال البعض من حب الجاه والمال والرئاسة والمنصب، والحسد والحقد وتقربوا إلى الظالمين وكانوا من حكام بلاطهم وخدموا الظالمين وعصوا رسول رب العالمين فلا يقدح في حال الجميع لانه لا يخلو الزمان من محقيهم وإن كثر المبطلون ولكنهم أخفياء مستورون تحت قباب الخمول حتى يظهر الله الحق بنصره وبالمؤمنين، ونحن إنما نرى أتباع علماء آل محمد ومن تابعهم ممن نهجوا نهج العترة وتمسكوا بالهدى ونشر الدين وعلموه ونابذوا الظالمين ومهدوا لقيام الراية العظمى فألئك هم المتبوعون لا غيرهم ممن أضل عن الهدى وتنكب عن سفن النجا.

الرابع: الملوك وولاة الأمور: فهم صنف قد يراعون العدل والإنصاف بين الناس والرعايا توصلاً الى نظام المملكة وتوسلا إلى قوام السلطنة لسلامة الناس في أموالهم وأبدانهم وعمارة بلدانهم

---

[١٧] المؤمنون:١١



ولولا قهرهم وسطوتهم لتسلط القوي على الضعيف والدنيء على الشريف

فرأس أي مملكة وأركانها وثبات أحوال الأمة وبنيانها العدل والانصاف سواء كانت الدولة إسلامية أوغير إسلامية فهما أساس كل مملكة وبنيان كل سعادة ومكرمة وهؤلاء الملوك يقيمونها لا للدين بل لصلاح دولتهم واستقرار مملكتهم، مع أن هذا نزر يسير ومثالهم في الدول قليل .

وإذا نظرنا فإن الله تعالى أمر بالعدل و لم يكتف به حتى أضاف اليه الإحسان فقال تعالى ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ**﴾[١٨] لأن بالعدل ثبات الأشياء ودوامها، وبالجور والظلم خرابها وزوالها وهؤلاء الملوك إن أظهروا العدل فإنما هم كما قيل:

والظلم من شيم النفوس فان تجد   ذا عفة فلعلة لا يظلم

فلولا قانون السياسة وميزان العدالة لم يقدر مصل على صلاته ولا عالم على نشر علمه ولا تاجر على سفره.

وحقيقة الملك العادل: هو من عدل بين العباد وامتنع عن الجور والفساد وكما هو معلوم فيما سبق عن حقيقة العدالة .

---

[١٨] النحل: من الآية٩٠

فمن لم يعرف من الملوك قدر هذه النعمة الكبرى والسعادة العظمى واشتغل بظلمه وهواه فقد جعله الله من جملة أعدائه وتعرض إلى أشد العذاب كما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال ((**إن أحب الناس إلى الله تعالى يوم القيامة وأقربهم منه إمام عادل وأن أبغض الناس إلى الله تعالى وأشدهم عذابا يوم القيامة إمام جائر**)) وذهب ملكه وتضعضع سلطانه .

فمن عدل أيها الملوك والزعماء في حكمه وكف عن ظلمه نصره الحق وأطاعه الخلق وصفت له النعمى واقبلت عليه الدنيا فتهنّأ بالعيش واستغنى عن الجيش بحب الشعوب وملكه للقلوب وأمن الحروب وظلت رعيته جندا، فما من شيء احلى مذاقا من العدل ولا أروح الى القلوب من الانصاف ولا أمرّ من الجور، ولا أشنع من الظلم.

فالواجب على الملك وعلى ولاة الأمور أن يتبعوا العدل والإنصاف ويجانبوا الظلم والإعتساف، فإنه لا يأمن من سطوات ربه وقهره في مخالفة العدل، فإنه منتصب لمصالح العباد وإصلاح البلاد وملتزم بفصل خصوماتهم وقطع النزاع بينهم فيكون ذلك أقوم لعمود ملكه وأدوم لبقائه وأبلغ الاشياء في حفظ المملكة هو العدل والانصاف على الرعية، وهذه نصيحة أقدمها إلى الملوك والزعماء والرؤساء

والوزراء وأهل المناصب والجاه فإن لم يكن دين فيكم فحفاظاً على كراسيكم ومناصبكم أظهروا العدل وذلك من أجل نفوسكم وأموالكم ودنياكم وإلا فزوالكم سيكون قريباً ﴿ **وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ**[19]﴾ وخير مثال لك فيما سبق هو ما ظهر من ملك النجاشي في الحبشة لذلك أمر النبي ﷺ بعضاً من أصحابه بالهجرة إلى الحبشة فإن ملكها لا يظلم عنده أحد فالترفع عن الظلم سبب الإستقرار والسيادة وظهور الفضيلة ﴿**وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ**[20]﴾.

وقد قيل لحكيم: أيما افضل العدل أم الشجاعة؟ فقال: من عدل استغنى عن الشجاعة لان العدل اقوى جيش وأهنأ عيش .

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال ((**أيما والٍ وليَ من أمر أمتي شيئاً فلم ينصح لهم ويجتهد كنصيحته وجهده لنفسه كبَّهُ اللهُ على وجهه يوم القيامة في النار**)).

الخامس: أوساط الناس: هم صنف لابد وأن يراعوا العدل في معاملاتهم وأروش جناياتهم بالإنصاف فهم يكافؤون الحسنة بالحسنة والسيئة بمثلها فقد يأكل الرجل حق أخته أو ميراثها أو من استطاع أخذ حقه من إخوانه المؤمنين أو أكل مال اليتامى أو

---

[19] هود: من الآية٨٣

[20] الأعراف: من الآية١٨٧



أذيتهم فهو بفعله ذلك ظالما، إذ فليكن عادلاً تقياً فالعدالة واجبة عليه .

ولابد من مراعاة العدالة في الميزان وعدم التطفيف ونقص الميزان أو بخس الناس فذلك لابد وأن يكون في الرعاة وأوساط الناس، ولابد وأن يكونوا قد حافظوا على أنفسهم من الرذائل والقبائح والكذب وإظهار المنكر ليكونوا عدولاً فالعدل هو الثقة الذي يجب أن يقبل شاهداً في معاملة الناس وأحكامهم وشاهداً في نكاح أو بيع أو قضية أو وصية وغيرها فقد اشترط في هذا أن يكون عدلاً يرضاه الناس، ولا يقبل حديثه ويكون ثقة إلا إذا كان صادقاً مؤمناً ولذلك ألفوا كتباً في رواة الأحاديث والأخبار وليس هذا هو موضوعنا ولكن استطراداً لأصناف العدالة .

السادس : القائمون برعاية الأولاد والمساواة بينهم، والزوجات، وبسياسة نفوسهم وتعديل قواهم وضبط جوارحهم وانخراطهم في سلك العدول لان كل فرد من افراد الانسان مسؤول عن رعاية رعيته التي هي جوارحه وقواه كما ورد ((**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته**)) وكما قيل: صاحب الدار مسؤول عن أهل بيته وحاشيته .

ولا تؤثر عدالة الشخص في غيره ما لم تؤثر اولاً في نفسه إذ التأثير في البعيد قبل القريب بعيد ما ذكرته هنا .

ولا يجوز له الميل إلى بعض الزوجات دون بعض ميلاً شديداً، ولا يجوز ظلم الزوجة الواحدة ولا ظلم أحد ممن لك ولاية عليه، وكذلك المرأة من واجبها إظهار العدل والمساواة وكما روي ((**فالرجل راع ومسئول عن رعيته والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها**)) .

وقد ذكر بعض تلك الأصناف في كتاب العجائب وفي هذا تمهيد للدخول في موضوعنا (رواد العدالة).

أسوتنا في العدالة هو الرسول الأعظم صلوات اللّه عليه وآله:

أما نبينا الرسول الأكرم ﷺ فهو الأسوة الذي يقتدى به كما قال ذو الجلال والإكرام ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً**[٢١]﴾.

الرسول الأعظم جاء معلماً بل مثبتاً للعدل والإنصاف وإزالة الجاهلية والظلم والطاغوت ، فبحق لقد عدل حتى لم يبلغ إلى عدله أحد ولذا قال لذي الخويصرة ((**ويحك من يعدل إن لم أعدل**))

.

[٢١] الأحزاب:٢١

فقد عدل ﷺ في سيرته وتعامله وحكمه وقوله وفعله، تعامل بالعدل مع نفسه وأهله وأقاربه وأصحابه ومواقفه العظيمة لا يمكن لكاتب ولا عالم ولا مؤرخ أن يحصرها فهي كثيرة وقد اخترت موقفاً واحداً فقط ليكون دليلاً على غيره.

ففي إحدى الأيام أراد النبي ﷺ إقامة حد السرقة على امرأة من قبيلة كانت مع رسول الله، والقبيلة لا يريدون أن يقام الحد على امرأة من قبيلتهم لذلك سعوا جاهدين إلى الوساطة ولما كانوا على يأس من ذلك قيل لهم: كلموا أسامة ليكلم رسول الله في ذلك ذهبوا إلى أسامة فأخبروه بأن يكلم النبي ﷺ في تلك المرأة والعفو عنها ..

تقدم أسامة إلى رسول الله ولما أخذ في الحديث رأى وجه رسول الله ﷺ يتغير..

لماذا ؟

توقّف أسامة عن ذلك وتكلم النبي ﷺ في غضب ((**أتشفع في حد من حدود الله يا أسامة**)).

وقال ((**من حالت شفاعته في حد من حدود الله فهو مضاد لله في أمره**)).

وهذا ما جعل رسول الله ﷺ يقف داعياً إلى العدالة ومرسخاً لمبدأ المساواة في الحدود والأحكام وعلى المنبر صعد خطيباً وسُمع وهو

يقول ((**أيها الناس إنما أهلك الذين من قبلكم كان إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه**)).

وهذه هي الحقيقة التي تقع في عصرنا هذا، فلم نر كبيراً أو مسئولاً أو ابن زعيم أو وزير أو نحو ذلك يقام عليه الحد بل يفعلون ما يريدون من القتل والشرب وللخمر و....و .... الخ وأما من كان ضعيفاً ليس له قوة ولا قبيلة فسيظهرون أمره ويقيمون عليه الحد ويدعي رؤساء الظلم أنهم يقيمون حدود الله.

وهيا إخوتي وأخواتي جميعاً لنسمع صوت العدالة الصادقة في قسم رسول الله وقوله فهو لم يكمل خطبته بعد، بل يواصل قائلاً بمنطق العدل: ((**فوالذي نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها**))

هذا هو العدل والإنصاف ((**لو أن فاطمة**)) ابنته التي يقول عنها أبوها ((**فاطمة بضعة مني فمن أغضبها فقد أغضبني**))

أحب النساء إلى رسول الله فاطمة ابنته الطاهرة ، لو أنها ((**سرقت**)) – وحاشاها– لأقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم عليها الحد ..

نحن نريد من ولاة أمر المسلمين وزعمائهم ترسيخ العدالة ونشرها بين الخلائق!.

نريد منهم أن يقتدوا برائد العدالة الأكبر، وهو النبي الأطهر فيقيمون شرع الله ويطبقونها على أنفسهم وأولادهم وأقاربهم كما يقيمونه على الآخرين من الضعفاء ومن ليس له وجاهة ولا قبيلة ولا رجال..

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

المواقف والأمثال الكثيرة التي ضربها رائد العدالة الثاني أميرالمؤمنين علي عليه السلام لا يمكن أن تحصر ولكن نقتطف ثمرات تنبئك عما كان من غيرها.

قصته عند شريح القاضي

فمن أبرز ماخطت الأقلام وبهرت ذوي الحلوم والأفهام وتناقلها الخاص والعام هو موقف مولانا أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب – صلوات الله عليه – في خصومته مع نصراني، فمما روى الإمام الهادي إلى الحق عليه السلام قال: بلغنا أن أمير المؤمنين عليه السلام وجد درعاً عند نصراني فأقبل به إلى شريح قاضيه على المسلمين فخاصمه عنده فلما رآه شريح زحل له عن مجلسه ، فقال له : مكانك

إلى قوله : ثم قال علي عليه السلام : يا شريح هذه درعي لم أبع و لم أهب .

فقال شريح للنصراني : ما تقول فيما قال أمير المؤمنين .

فقال النصراني : ماالدرع إلا درعي ، وما أمير المؤمنين عندي بكاذب .

فالتفت شريح إلى أمير المؤمنين فقال : يا أمير المؤمنين هل من بينة ؟

فضحك علي وقال : أصاب شريح مالي من بينة !.

فقضى [شريح] بالدرع للنصراني ، قال : فقام النصراني فمشى هنيهة ثم رجع فقال : أما أنا فأشهد أن هذه أحكام الأنبياء أمير المؤمنين يمضي إلى قاضيه ، وقاضيه يحكم عليه ، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، الدرع والله درعك يا أمير المؤمنين اتبعت الجيش وأنت منطلق إلى صفين فجررتها من بعيرك الأورق .

قال أمير المؤمنين : أما إذا أسلمت فهي لك، وحمله على فرس، وقاتل مع أمير المؤمنين يوم النهروان ([٢٢]).

التعليق

إن الموقف ليرسم لنا الطريق ويحقق الهدف ويضع كل شيء موضعه ، وهل رأينا أحدٌ من الزعماء قد أنصف من نفسه مع شعبه ورعيته ؟! .

[٢٢] - وقد رواها في أمالي المرشد بالله الخميسية إلا أنه ذكر أن الدرع مع يهودي .

وهل سمعنا بأحد في عصرنا قد أنصف الناس من ولده وأهله أم أنهم يضربون الناس ويقتّلون الشعوب كيفما شاؤوا ؟!!! .

إذا كنت ابناً لأحد الرؤساء أو الزعماء أو الوزراء أو الكبار فافعل بالناس ما تشاء، الله المستعان لم ينصفوا أحداً بل فعلوا المنكرات وأظهروا المحرمات ولبسوا الدين فلا هم راضون بحكم الله على أنفسهم ولا على أولادهم ولا من كان من أصدقائهم وأتباعهم، ولا هم تخلوا عن مناصبهم فأكلوا الحرام وأظهر الحرام وأظهروا الظلم فاستحقوا القتل والقتال والنزول إلى أسوء مقر ودار في الدنيا والآخرة .

أما أمير المؤمنين علي (عليه السلام) فقد أوضح للمسلمين وغيرهم بتواضعه هذا وإنصافه مع نصراني أو يهودي ماهو الإسلام ؟ وما هي العدالة ؟ ومن هم رواد العدالة الذين يجب أن يتّبعوا ويسمع لهم ويطاع فهذا هو دين الله المتين وصراطه المستقيم .

في موقفه (عليه السلام) مع ابنته :

في إحدى الأيام رأى أمير المؤمنين علياً (عليه السلام) عقداً على ابنته وكان قد لمح هذا العقد في بيت مال المسلمين فتأثر الإمام (عليه السلام) لذلك فسأل ابنته قائلاً : من أين لك هذا العقد ؟ قالت : أخذته عارية عندي فاستدعا الإمام (عليه السلام) عامله على بيت المال فسأله فقال: إنما

أعطيته عارية لتردها، فقال أمير المؤمنين علي (عليه السلام) لا بنته (لولا أن العقد عارية عندك لكنت أول هاشمية تقطع يدها في السرقة).

وفي هذه الحكاية دليل على العدالة المحققة المنشودة حتى في أبنائهم فأين زماننا الذي هو في أمس الحاجة إلى مثل تلك العدالة والقيادة، فمن كان على مثل هذه الطريقة المرضية فنحن معه ومن أتباعه ولا حياة لنا إلا أن نسير بمنهجية الدين والهدى وننبذ طريقة الظلم والطغيان ونحيي أسس العدالة وتصبح أمتنا من خير سادة وقادة

في موقفه من إقامة الحدود :

الناس دائماً قد لا يرون إقامة الحدود بل يجعلون من إقامة القائد المؤمن للحدود والقصاص ونحو ذلك ظالماً مع أنها عدالة جاءت من خالق الأرض والسماء والإنس والجان وهو العالم بما يصلحهم وبالمنهج الذي تستقر به الأرض ومن فيها، إنه منهج سماوي رسم لنا كيف نعيش في أمان واستقرار وراحة وحرية، وعند ما نرى أن معاوية بن أبي سفيان لا يريد هذه العدالة وذلك المنهج القرآني تجد أن الناس قد التحقوا به فهو لا يقيم حداً على من والاه ، الأهم هو كرسية وملكه ، وليفعل الناس ما شاؤا من الفساد، يروى أن رجلاً كان مع علي بن أبي طالب سلام الله عليه وشهد معه مشاهده هو وقبيلته وفي إحدى الأيام شرب خمراً فأراد أمير المؤمنين – سلام الله

عليه – إقامة الحد عليه فتوسطت قبيلته ولكن أمير المؤمنين علياً – صلوات الله عليه –رفض إلا أن يقيم الحد عليه فلما كان الليل هرب شارب الخمر هو وبعض قبيلته إلى معاوية فرحّب بهم وأكرمهم على أن يسبَّ علياً ولاشيء عليه ، فانظر إلى هذه الحكاية –إن صحت – وقد تكرر أمثالها كثير فإن فيها عبرة، وقد صدق أمير المؤمنين علي عليه السلام حينما قال (ما ترك الحق لي صديقاً).

موقفه عليه السلام مع عبيد الله[٢٣] بن عمر :

كان موقف أمير المؤمنين علي عليه السلام من ابن عمر كان سلبياً وذلك لأن عبيد الله بن عمر كان قد قتل الهرمزان بدعوى أنه الرجل الذي صقل خنجر أبي لؤلؤة قاتل عمر بن الخطاب ، وكان قد طلب أصحاب رسول الله من عثمان بن عفان أن يقيم عليه القصاص لكن عثمان أبى ورفض ، وكان أمير المؤمنين علي عليه السلام يريد القصاص من ابن عمر لقتله الهرمزان ظلماً وعدواناً .

فلما أخذ أمير المؤمنين علي عليه السلام الخلافة وعاد الحق إلى أهله اضطرب عبيد الله بن عمر بمن يلتحق بأمير المؤمنين علي عليه السلام أم بغيره ؟

---

[٢٣] - هو أخو عبد الله بن عمر الروي المشهور.

كان يراجع نفسه وفي حوار مع نفسه عرف أن علياً هو الذي يجب أن يقف معه وفي صفه إذ الحق معه يدور حيثما دار .

وما إن يقرر الإلتحاق بأمير المؤمنين علي عليه السلام حتى يتذكر أن علياً عليه السلام لا يتنازل عن دم الهرمزان !.

ابن عمر يريد من الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام أن يقبله جندياً مقاتلاً بل في أول الجيش ومقدمته ، ولا يأخذه بالقصاص ...لكنه يعلم أن أمير المؤمنين وإن كان يعلم من ابن عمر شجاعته وإقدامه فإنه لن يفرط أبداً عن دم مسلم قُتل ظلماً وبغياً الدين مقدّم على كل شيء ، لا يفرق الدين بين أحد أبداً .

فقرر ابن عمر لأجل هذا أن يلتحق بمعاوية يا للأسف ..

فلما وصل إلى معاوية طلب منه أن يقوم على المنبر فيلعن علياً عليه السلام فأبى ابن عمر ذلك وقال : قد عرفت أنني لم ألتحق بك إلا لأن علياً يطالبني بالهرمزان وإلا فإنني أعلم أن علياً صاحب الحق ، وكيف ألعن علياً وهو شرفنا وسؤددنا وفخرنا ....الخ كلامه.

وتقدم للقتال فلما رآه أمير المؤمنين علي عليه السلام وهو يطلب المبارزة قال له : ما تطلب يا ابن عمر ؟! .

قال عبيد الله بن عمر : أطلبك بدم عثمان .

فقال أمير المؤمنين علي : تطلبني بدم عثمان والله يطلبك بالهرمزان !! .

إن تمكنت منك قتلتك به ! (**هذا هو الذي منع ابن عمر من اتباع الحق**)

فولى ابن عمر عن مواجهة أمير المؤمنين عليه السلام لكن أخذ يقاتل غيره حتى قتل ابن عمر صريعاً مع الفئة الباغية ، وإلى الهاوية، ولو استجاب لأمير المؤمنين عليه السلام ليطهره كان خيراُ له .

التعليق :

إقامة الدين والحكم والعدل لا يكون إلا لمن أراد أن يرضى الله سبحانه عنه ولا يهمه سخط الناس ، كان بإمكان أمير المؤمنين علي سلام الله عليه أن يقبل عبيد الله بن عمر ويجعله في مقدمة الجيش وابن عمر يحب ذلك ويبغيه، لكن علياً عليه السلام لن يهدر دم أحد من الناس سواء كان قوياً أم ضعيفاً لأنها أوامر الله سبحانه وتعالى.

الهرمزان الضعيف المسكين لا يجوز أن يذهب دمه هدراً أبداً في حكومة الله سبحانه وتعالى التي أمر القائمين بالقسط بتحقيقها فاتبعوا هذا المنهج وتدبروا العواقب، والعاقبة للمتقين.

موقف أمير المؤمنين علي عليه السلام مع ابن ملجم

لا زال رائد العدالة وإمام المسلمين أمير المؤمنين علي– صلوات الله عليه– يضرب لنا العدالة حتى مع نفسه ، فهو يتعامل بالعدل ونشره

بين الناس وهو أول الناس إتضاعاً واستسلاماً للحق ، فإن ابن ملجم أشقى الآخرين لما أصاب أمير المؤمنين بعدّة ضربات لكن الإمام – سلام الله عليه – لم يُقتل في الحال ..

قد عرفنا أن القوم الكثير قد سارعوا في القضاء على الإمام علي بشتى الطرق فلم يكن ابن ملجم وحده القاتل ولكن فلنسمع لوصية أمير المؤمنين علي عليه السلام الذي قتل في عاصمة دولته ومسجده بتآمر كبير حيث يمنع قتل مع الناس المتسببين في قتله وجود المباشر وذلك حيث يقول (**لا تقولوا قتل أمير المؤمنين ألا لا يقتل بي إلا قاتلي**) وأين نحن اليوم من هذا العدل، اليوم يريد الرجل منا أن يقتل بديلاً عن أبيه أو أخيه أو صديقه، كثيراً من الناس وقتل من سبب في القضية ويريد أن يقتل الشيخ أو الكبير أو الرجل المشهور من قبيلة القاتل لا القاتل نفسه لأن القاتل رجل حقير ومهين، فهل كان ابن ملجم اللعين يساوي تراب نعل علي بن أبي طالب – سلام الله عليه – ؟!!! كلا لكنها العدالة ﴿**فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً**[٢٤]﴾ فهذه عظة وعبرة وفيها نور وهدى لمن استمسك بالعروة الوثقى واقتدى بأمير المؤمنين حجة الله على الورى فقد فاز في الآخرة والأولى .

---

[٢٤] - الاسراء: من الآية٣٣.



وأختتم هذه العجالة القصيرة بكلام له عليه السلام [يتبرأ من الظلم]ففيه برهان لمن اهتدى وأثر الآخرة على الدنيا، فقد قال عليه السلام

وَاللهِ لَانْ أَبِيتَ عَلَى حَسَكِ السَّعْدَانِ مُسَهَّداً، أَوْ أُجَرَّ فِي الْأَغْلاَلِ مُصَفَّداً، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْقَى اللهَ وَرَسُولَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ظَالِماً لِبَعْضِ الْعِبَادِ، وَغَاصِباً لِشَيْءٍ مِنَ الْحُطَامِ، وَكَيْفَ أَظْلِمُ أَحَداً لِنَفْس يُسْرِعُ إِلَى الْبِلَى قُفُولُهَا، وَيَطُولُ فِي الثَّرَى حُلُولُهَا؟!

لَقَدْ رَأَيْتُ عَقِيلاً وَقَدْ أَمْلَقَ حَتَّى استماحَنِي مِنْ بُرِّكُمْ صَاعاً، وَرَأَيْتُ صِبْيَانَهُ شُعْثَ[25] [الشُّعُورِ، غُبْرَ[26]] الْأَلْوَانِ، مِنْ فَقْرِهِمْ، كَأَنَّمَا سُوِّدَتْ وُجُوهُهُمْ بِالْعِظْلِمِ[27]، وَعَاوَدَنِي مُؤَكِّداً، وَكَرَّرَ عَلَيَّ الْقَوْلَ مُرَدِّداً، فَأَصْغَيْتُ إِلَيْهِ سَمْعِي، فَظَنَّ أَنِّي أَبِيعُهُ دِينِي، وَأَتَّبِعُ قِيَادَهُ[28]، مُفَارِقاً طَرِيقِي، فَأَحْمَيْتُ لَهُ حَدِيدَةً، ثُمَّ أَدْنَيْتُهَا مِنْ جِسْمِهِ لِيَعْتَبِرَ بِهَا، فَضَجَّ ضَجِيجَ ذِي دَنَف[29] مِنْ

---

25 – شُعْث: جمع أشْعث، وهو من الشعر المتلبد بالوسخ.

26 الغُبْر ــ بضم الغين، جمع أغبر ــ : متغير اللون شاحبه.

27 العِظْلِم ــ كزِبْرِج ــ : سواد يصبغ به، قيل هو النيلج أي النيلة.

28 القِياد: ما يُقادُ به كالزمام.

29 الدَنَف ــ بالتحريك ــ : المرض.

أَلَمِهَا، وَكَادَ أَنْ يَحْتَرِقَ مِنْ مِيسَمِهَا([30])، فَقُلْتُ لَهُ : ثَكِلَتْكَ الثَّوَاكِلُ([31])، يَا عَقِيلُ ! أَتَئِنُّ مِنْ حَدِيدَةٍ أَحْمَاهَا إِنْسَانُهَا لِلَعِبِهِ، وَتَجُرُّنِي إِلَى نَارٍ سَجَرَهَا جَبَّارُهَا لِغَضَبِهِ! أَتَئِنُّ مِنَ الاذَى وَلاَ أَئِنُّ مِنْ لَظىً([32])؟!وساق عليه السلام إلى أن قال(وَاللهِ لَوْ أُعْطِيتُ الأَقَالِيمَ السَّبْعَةَ بِمَا تَحْتَ أَفْلاَكِهَا، عَلَى أَنْ أَعْصِيَ اللهَ فِي نَمْلَة أَسْلُبُهَا جِلْبَ([33]) شَعِيرَة مَا فَعَلْتُهُ، وَإِنَّ دُنْيَاكُمْ عِنْدِي لاَهْوَنُ مِنْ وَرَقَة فِي فَمِ جَرَادَة تَقْضَمُهَا، مَا لِعَلِيّ وَلِنَعِيمٍ يَفْنَى، وَلَذَّةٍ لاَ تَبْقَى!

نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ سُبَاتِ الْعَقْلِ، وَقُبْحِ الزَّلَلِ، وَبِهِ نَسْتَعِينُ.

الإمام محمد بن إبراهيم[34] وموقفه مع امرأة

هذا الإمام الكبير الناصح للأمة ، الخائف على تدهور أحوالها، المريد لنشر العدالة والمساواة بين الناس محمد بن إبراهيم بن إسماعيل عليهم السلام .

---

[30] المِيسَم ــ بكسر الميم وفتح السين ــ : المكْواة.

[31] ثَكِلَ ــ كفرح ــ : أصاب ثُكْلاً ــ بالضم ــ وهو فقدان الحبيب أو خاص بالولد. والثواكل: النساء.

[32] لَظَى: اسم جهنم.

جلب الشعيرة: قشرتها. وأصل الجلْب غطاء الرحل فتجوّزَ في إطلاقه على غطاء الحبة.[33]

[34] - هو أخو الإمام القاسم بن ابراهيم الرسي وانظر ترجمة الإمام محمد في الحدائق الوردية والإفادة والترجمان ومآثر الأبرار والتحف شرح الزلف وغيرها .

فقد روي أن الإمام محمد بن إبراهيم عليه السلام خرج يوماً في ظهر الكوفة قبل قيامه فرأى عجوزاً تتبع الطريق وتلقط ما سقط من القضب الرطب أو ما يلقيه الناس بعد الأكل وما تبقى منه، وتلفه في كسائها فقال لها الإمام : يا أمة الله ما تريدين بهذا؟

قالت : إني امرأة أرملة ولي بنات يتائم ولا شيء لنا من المعيشة إلا هذا ألفه كل يوم فأرده إليهنّ فيقتتنه .

قال الراوي : فبكى الإمام عليه السلام بكاء شديداً وقال : أنتِ والله وأمثالك تخرجوني غداً فأقاتل حتى أقتل ..

فهؤلاء هم روَّاد العدالة وأئمة الهدى والتقى .

والذي نبغيه ونريده هو أننا في عصرنا في أمس الحاجة لأمثال هؤلاء السعداء الأتقياء ، الذين اهتموا بالأمة ونظروا إلى الناس من فقراء ومحتاجين ومظلومين ولم ينظروا إلى أنفسهم فضحوا بأنفسهم من أجل طلب حاجات غيرهم، أما أئمة الهدى فقد كان عدوهم أول ما يبذل لهم الأموال والمناصب وما يريدونه من متاع الدنيا فسيلبي الظالم طلبهم لكنهم أبوا أن يبيعوا رضى ربهم عنهم بالدنيا الزائفة والسكوت عن المظلومين والمحرومين أرادوا الآخرة فسعوا لها سعيها ، ونحن اليوم نطلب القيادة العادلة لنرى الحق والعدل قد ساد في أمتنا ومجتمعاتنا وإخواننا وأخواتنا أسأل الله أن يعجل بالفرج بمنه وفضله .

إمام اليمن الميمون الهادي إلى الحق وموقفه في إقامة الحد:

اعتدى أحدهم بسرقة في أيام الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين صلوات الله عليه فأخذ وأقيمت البينة عليه فأمر الإمام عليه السلام بإقامة الحد عليه، وكانت قبيلته من القبائل التي نصرت الإمام عليه السلام فسعوا بالوساطة والشفاعة عساه أن يترك إقامة الحد أو يؤخره لكونهم قد نصروه وقاتلوا معه ، فلما كلموا الإمام في ذلك قال الإمام الهادي عليه السلام : والله لو كان جدي القاسم بن إبراهيم – وهو نجم آل الرسول– ما صليت إلا وقد أقمت عليه الحد !!

صورة الإمام العادل تتضح في موقف الهمداني مع الإمام الهادي

يروى عن أبي الحسن الهمداني المعروف بالحروري - وكان رجلاً فقيهاً على مذهب الشافعي، تاجراً يجمع بين الفقه والتجارة – أنه قال: قصدت اليمن في بعض الأوقات وحملت ما أتجر فيه هنالك ابتغاء لرؤية يحيى بن الحسين عليه السلام لما كان يتصل بنا من آثاره، فلما حصلت بصعدة قلت لمن لقيته من أهلها: كيف أصل إليه ومتى أصل وبمن أتوسل في هذا الباب؟ فقيل لي: الأمر أهون مما تقدِّر،

تراه الساعة إذا دخل الجامع للصلاة بالناس؛ فإنه يصلي بالناس الصلوات الخمس كلها.

فانتظرته حتى خرج للصلاة فصلى بالناس وصليت خلفه، فلما فرغ من صلاته تأملته فإذا هو قد مشى في المسجد إلى قوم أعِلاَّءَ في ناحية منه فعادهم وتفقد أحوالهم بنفسه، ثم مشى في السوق وأنا أتبعه، فغيّر شيئاً أنكره ووعظ قوماً وزجرهم عن بعض المناكر.

ثم عاد إلى مجلسه الذي كان يجلس فيه من داره فتقدمت إليه وسلمت عليه فرحب بي وأجلسني وسألني عن حالي ومقدمي فعرّفته أني تاجر وأني وردت ذلك المكان تبركاً بالنظر إليه، وعرف أني من أهل العلم فأنس بي وأكرمني إذا دخلت إليه.

إلى أن قيل لي في يوم من الأيام: إن غداً يوم المظالم وإنه يقعد فيه للنظر بين الناس فحضرت غداة هذا اليوم فشاهدت هيبة عظيمة، ورأيت الأمراء والقواد والرجالة وقوفاً بين يديه على مراتبهم وهو ينظر في القصص ويستمع الظلامات ويفصل الأمور؛ فكأني شاهدت رجلاً غير من كنت شاهدته وبهرتني هيبته.

فادعى رجل على رجل حقاً وأنكره المُدَّعَى عليه وسأله البينة فأتى بها فحلَّف الشهود، فعجبت من ذلك، فلما تفرق الناس دنوت إليه وسلمت عليه وقلت: أيها الإمام رأيتك حلفت الشهود. فقال: هذا رأيي، أنا أرى تحليف الشهود احتياطاً عند بعض التهمة؛ وما تنكر

من هذا؟ هذا قول طاووس من العلماء التابعين، وقد قال تعالى: ﴿فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا﴾[٣٥].

قال: فاستفدت في تلك الحال منه مذهبه وقول من قال به من التابعين والدلالة عليه، و لم أكن عرفت شيئاً منه قبل ذلك.

وأنفذ إليّ يوماً من الأيام يقول: إن كان في مالك لله حق زكاة فأخرجه إلينا، فقلت: سمعاً وطاعة بأن أخرج زكاتي إليه، وحسبت حسابي فإذا علي من الزكاة عشرة دنانير، فأنفذتها إليه.

فلما كان ذات يوم بعث إليّ واستدعاني فإذا هو يوم العطاء والمال يوزن ويخرج إلى الناس، فقال: إني أحضرتك لتشهد إخراج زكاتك إلى المستحقين، فقمت وقلت: الله أيها الإمام كأني أرتاب فيك بشيء أو أشك في فعلك؛ فتبسم وقال: ما ذهبت إلى حيث ظننت ولكن أردت أن تشهد إخراج زكاتك.

وقلت له يوماً من الأيام: رأيتك أيها الإمام أول ما رأيتك وأنت تطوف على المرضى في المسجد تعودهم وتمشي في السوق، فقال لي: هكذا كان آبائي كانوا يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق، وأنت يا أبا علي إنما عهدت الجبابرة الظلمة - يعني بني العباس.

ولو رمنا تقصي أخباره لطال الشرح، وهي فضائل كلها، وأقام ثماني عشرة سنة مقيماً لأحكام كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ومعزّاً

---

[٣٥] [المائدة:١٠٧]

لدينه، وضرب باسمه الدينار والدرهم، وعمل الطراز. وكان قيامه سنة ثمانين ومائتين، وتوفي لعشر بقين من ذي الحجة سنة ثمان وتسعين ومائتين عليه سلام رب العالمين.

من كلام الإمام الهادي عليه السلام

وهنا أذكر المؤهلات التي يجب أن يتصف بها الإمام فقد قال الإمام الهادي إلى الحق عليه السلام : والذي افترض طاعته ذو الجلال والإكرام، من أهل بيت محمد صلى الله عليه وآله سلم على جميع من خلق وذرأ من الأنام، وبنى على طاعته وموالاته دعائم الإسلام: الورعُ الفاضل، التقي الكامل، الباذل لنفسه العالم الذي لا تأخذه في الله لومة لائم، الفَهِم بمعاني الكتاب، المتفرع فيما يحتاج إليه من الأسباب، المجرد في أمره، الداعي إلى سبيل ربه، المباين للظالمين، الناهض بحجة رب العالمين، الكاشف لرأسه، المجرد لسيفه، الرافع لرايات الحق، المظهر لعلامات الصدق، الزاهد في حُطام الدنيا، الراغب في الآخرة التي لا تفنى، والحافظ للرعية المواسي لهم، المتحنن عليهم، المقرب غير المُبَعِّد، المُهَوِّن غير المُجْهِد، القارن لهم بنفسه في جميع أمره، الشفيق عليهم، الآخذ لمظلومهم من ظالمهم، المستوفي لحق الله من أيديهم، والرَّاد له في مصالحهم، والمفرق لفَيِّهم فيهم، المُسلِّم له إليهم، العادل في قسمه، المساوي بين رعيته في حكمه،

الطارح الجبريَّة والتكبر، البعيد عن الخيلاء والتجبر والباسط لكفه، المنصف لأهل طاعته، المتفَقِّد لجميع معائشهم الحامل لهم على ما أمروا به من أديانهم، الممضي لأحكام الله فيهم، القائم بقسط الله عليهم، الرؤوف الرحيم بهم، العزيز عليه عنوتهم، المُتَعَنِّي بالجليل والدقيق من أمرهم، المشبه في ذلك لجدّه، ولما ذكر الله من أمره، حيث يقول سبحانه: ﴿**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ**﴾[٣٦] الشجاع السخي، الفارس الكَمِي.

فإذا كان كذلك ثم دعاهم إلى نفسه، والقيام لله بحقه، وجبت على الأمة طاعته، وحرمت عليهم معصيته، ووجبت عليهم الهجرة إليه، والمجاهدة بأموالهم وأنفسهم معه وبين يديه، إلى أن قال ...(ومن خالف ما ذكرنا، وكان على غير ما شرحنا؛ من آل الرسول صلى الله عليه وعلى آله فنكث عليهم، وأساء في فعله إليهم، ومنعهم من حقهم الذي جعله الله لهم، واستأثر بفيهم، وأظهر الفساد والمنكر في ناديهم، وصيّر ما لهم دولة بين عدوهم يتقَّوى به عليهم، ولم يَقْبِضْهُ منهم، ويقسمه على صغيرهم وكبيرهم، وكانت همته كنز الأموال، والاصطناع لفسقة الرجال، ولم يزوج أعزابهم، ولم يقض غراماتهم، ولم يكس الظهور العارية، ولم يشبع منهم البطون

---

[٣٦] [التوبة: ١٢٨]



الجائعة، ولم ينف عنهم فقراً، ولم يصلح لهم من شأنهم أمراً؛ فليس يجب على الأمة طاعته، ولا تجب عليهم موالاته، ولا تحل لهم معاونته، ولا تجوز لهم نصرته، بل يحرم عليهم القيام معه ومكاتفته، ولا يسعهم الإقرار بحُكمه، بل يكونون شركاه إن رضوا بذلك من أفعاله، ويكونون عند الله مذمومين، ولعذابه مستوجبين .اهـ.

ولو أن الأمة أخذت بهذه الأوصاف وأقامت من كان حاملاً لها وبرزت هذه الخصال فيه لكفينا المؤنة ولظهر العدل وانتشر وساد الخير إلى كافة البشر ونصر المظلوم وقمع الظلم فهذا نداء الحق قد اكتمل وبدر الحجج الظاهرة قد تمَّ ﴿**فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ**﴾.

موقف عظيم للإمام محمد بن القاسم الحسيني عليه السلام

وكان قد دعا عليه السلام الناس بخراسان وكان عادلاً زاهداً ورعاً فلما اجتمع له أمره وكان في رستاق من رساتق مرو فسمع بالليل صوت باكٍ وكان معه عدد من علماء الزيدية وفضلائهم فدعا إبراهيم بن عبد الله العطار وقال : يا إبراهيم إذهب فانظر هذا الباكي.

فذهب إبراهيم وتتبع الصوت حتى انتهى إلى رجل حائك قد أخذ منه رجل من أتباع الإمام محمد بن القاسم لبداً[٣٧] وهو متعلق به .

فقال إبراهيم العطار : ماهذا وما شأنك ؟

فقال : أخذ صاحبكم هذا اللبد ، فقال إبراهيم : أردد عليه لبده فقد سمع الإمام بكاءه .

فقال الرجل : إنما خرجنا معكم لنكسب وننتفع ونأخذ ما نحتاج إليه .

قال إبراهيم فلم أزل به حتى أخذت اللبد ورددته إلى صاحبه، ورجعت إلى الإمام محمد بن القاسم عليه السلام فأخبرته الخبر .

فقال الإمام : كيف ننتصر على إحياء الدين بمثل هذا، وبلغ منه كل مبلغ .

وقال : فرِّقوا الناس عني فخرجنا إلى الناس وقلنا : إن صورة الأمر قد أوجبت أن تتفرقوا في هذا الوقت ، فتفرق الناس ورحل الإمام محمد بن القاسم من وقته إلى الطالقان وبينها وبين مرو أربعون فرسخاً ونزلها .

وصار الإمام عليه السلام يبحث مرة أخرى عن جنود صالحين خلاّص، يبغون الإخوة لا أطماع الدنيا .

أسر الإمام محمد بن القاسم الحسيني عليه السلام .

---

[٣٧] - اللبد: هي كل شعر أو صوف ملتصق بعضه ببعض التصاقا شديداً .

لما تمكن مرة أخرى من القيام وكانت قد عرضت على الإمام محمد بن القاسم عليه السلام من آل طاهر أموالاً كثيرة ونفائس من الجوهر فلم يقبلها ، ودارت المعارك الكثيرة وفي أحدها أخذ الإمام عليه السلام أسيراً فوضعوا عليه القيود الثقيلة من الحديد الثقيل في يديه ورجليه وشددوا عليه مضايق القيود وأتعبوه ، فلما جاء إليه عبد الله بن طاهر ونظر إليه قال لإبراهيم بن غسان : ويلك يا إبراهيم ما خفت الله في فعلك، أتقيد هذا الرجل الصالح بمثل هذا القيد ؟! .

فقال إبراهيم : أيها الأمير خوفك أنساني خوف الله !! ووعيدك الذي قدمته إليّ أذهل عقلي عما سواه[٣٨] .

فقال عبد الله بن طاهر : خفّف هذا الحديد كله عنه ، وقيده بقيد خفيف في حلقته رطل النيسابوري – ووزن النيسابوري مائتا درهم – وليكن عموده طويلاً وحلقتاه واسعتين ليخطوا فيه .

فهذا الصبر العظيم والتحمل الكبير لنشر العدل والحرية عند آل رسول الله – سلام الله عليهم – بلغ بهم الدرجات العالية حتى شهد أعدائهم بفضلهم ، فهذا إبراهيم بن غسان الذي أسر الإمام محمد بن القاسم عليه السلام يشهد بفضله فيقول : ما رأيت قط أشد

٣٨ - هذه عادة الظالمين وتعاملهم مع من ينصرهم ويسعى في خدمتهم ﴿نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ ﴾ وما العجب كل العجب إلا من هؤلاء العسكر كيف يصرون على نصرة الظالمين وإعانة المبطلين وقتل المؤمنين مع أنهم يخيفونهم وينسونهم خوف الله سبحانه الجبار المنتقم وهذا سلب لإيمانهم ووقوع الشرك عليهم ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (التوبة: من الآية١٣)

اجتهاداً من محمد بن القاسم ولا أعف ولا أكثر ذكراً لله مع شدة نفس واجتماع قلب، ما ظهر منه جزع ولا انكسار ولا خضوع في الشدائد التي مرت به.

وقد تأملوا في سيرته فلم يروه قط لا مازحاً ولا ضاحكاً إلا مرة واحدة لما أرادوا أن يركب المحمل على البغل فطأطأ له أحد الجنود ظهره ليركب الإمام عليه السلام فلما استوى في المحمل قال عليه السلام للذي حمله على ظهره مازحاً : تأخذ أرزاق بني العباس وتخدم بني علي بن أبي طالب ، وتبسَّم .

أمثل هذه الصورة المرعبة التي أوصلتهم إلى درجة الخوف من الظلمة لامن الله الكبير المتعال ، يكون هؤلاء الأمراء الظلمة المتجبرون أئمة للمؤمنين وحكاماً للعدالة وناشرين للدين ؟!!!

وهي عادة الظالمين القساوة والضراوة ولطالما قتلوا من نصرهم فقد قتلوا أبا مسلم الخراساني وهو الذي مهد دولة بني العباس !! وقتل المأمون قائده عبدالله بن طاهر وهو الذي أسس دولة المأمون وقضى على معارضه !! وهلمَّ جراً .

ثم أمر المعتصم أن يأخذ جلال القبة التي على الإمام محمد بن القاسم وتنزع العمامة التي على رأسه حين دخوله بغداد حاسراً مكشوفاً .!!

ولما دخل إلى المعتصم وبين يديه أصحاب السماجة يلعبون والفراعنة يرقصون بكى الإمام محمد بن القاسم عليه السلام وقال : اللهم إنك تعلم أني لم أزل حريصاً على تغيير هذا وإنكاره .

وأخذ الفراعنة يرمون العامة بالقاذورات والمعتصم جالس بالقصر على الأسرّة وهاهو يضحك ، والإمام محمد بن القاسم عليه السلام واقفاً يسبح الله ويستغفر الله ويحرك شفته يدعوا عليهم ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ .

صور من عدل الإمام المؤيد بالله الهاروني عليه السلام

هذا وكان الإمام المؤيد بالله أحمد بن الحسين الهاروني إماماً كبيراً وعالماً مجتهداً وزاهداً ورعاً، قام بأمر الإمامة ولبس أثواب الزعامة ونشر العدل ودمّر الجور وأهلك الظلم وإن له في ذلك حكايات كثيرة منها :-

تعامله مع السمّاك: فقد كان الإمام المؤيد بالله عليه السلام متواضعاً على قوة سلطانه يمشي في الأسواق ويحمل المحقرات على يده ، ويمنع من أن يتولى ذلك غيره.

فأين زعماء اليوم عن هذه الأخلاق ؟! وهل يرون الناس ويروهم في محافلهم وأسواقهم ؟!! .

وأراد الإمام المؤيد بالله عليه السلام شراء بعض سمكة من سمّاك .

فقال السمّاك : لا أقطعه اليوم فانحرف الإمام عليه السلام .

ثم أتى خادم الإمام المؤيد بالله فأراد اختبار عدله في رعيته فقال للخادم : اذهب إلى السمّاك فقل له : سيدي يأمرك بقطعه حتماً .

فذهب الخادم فقال للسمّاك ذلك فقال السماك : لا أفعل .

فرجع الخادم إلى الإمام المؤيد بالله عليه السلام فأخبره بذلك ، فحمد الله كثيراً .

وقال : الآن علمت العدل لأن ضعفاء الرعية لا تخاف سطوتي وتركه و لم يعاتبه ، واسترّ الإمام بذلك ، فأين هؤلاء الظلمة الذين يفرضون هيبتهم وجبروتهم على الناس من أئمة العدالة والتقى؟!!.

حكاية الملك والبقّار.

كان هناك رجل ملك وكان يقال له : علي بن سرحان الملك، وكان جالساً في إحدى الأيام بجوار الإمام المؤيد بالله عليه السلام فجاء رجل بقّار وسلّم على الإمام المؤيد بالله فرد عليه السلام ثم قال : أيها الإمام لي دعوى على علي بن سرحان .

فقام علي بن سرحان من مجلسه إلى جوار خصمه .

فادعى البقار أن علي بن سرحان غصب عليه بقرة وبيّن صفتها فأنكر علي بن سرحان ذلك .

و لم يثبت البقار أي بينة و لم يكن بيده دليل على ذلك .

فحلّف الإمام المؤيد بالله عليه السلام علي بن سرحان الملك فحلف .

فقام البقار وقال : ما كان غرضي بهذه الدعوى إلا ليتحقق الناس أنا في زمن إمام هدى يساوي بين الملك والبقّار .

صورة من الصفح على المسيء

يعتاد الناس أذية الأئمة الصالحين ولا يقدّرون ثمن تلك النعمة الكبرى ولكن طوبى لمن أساء فتاب وأناب وأصلح عما مضى وتعساً وسحقاً لمن أصر على الجهالة والغوى، نسأل الله السلامة وحسن الخاتمة .

فقد كان الإمام المؤيد بالله عليه السلام يحارب الخراسانية فرفع أحد السفهاء رأس بقرة على عود فقال: هذا رأس أبي الحسين الهاروني !!.

فظفر به أصحاب المؤيد بالله سلام الله عليه فأخذوه إلى الإمام ليقتله فسألهم الإمام عن حاله فأخبروه بفعله و لم يقبل الإمام عليه السلام من أصحابه ذلك إلا ببينة ، فلما أتوا بالبينة على فعله السيء قال الإمام المؤيد بالله عليه السلام : خلوا سبيله ، وقد أسأت فيما فعلت، ودواك التوبة إلى الله تعالى .

وقيل: إن الرجل تاب وصلح بعد أن رأى من هذا الإمام عليه السلام ما يدهشه من العدل بل والصفح عنه بعد ثبوت سوء فعله وجريمته الحمقاء .

موقف الإمام القاسم بن محمد في شأن ولده الحسن وهو في السجن

كان الحسن ين الإمام القاسم ين محمد يعتبر قائداً أعلى لقوات الدولة في أيام أبيه وكان قائداً محنكاً ذكياً سياسياً مخططاً وفي إحدى المعارك التي دارت بين الإمام القاسم بن محمد والأتراك وقع الحسن الحسن أسيراً بيد الأتراك ونقل إلى صنعاء فسعى بعضهم إلى إخراجه كالقاضي عامر بن محمد وغيره وبعد ذلك توسطوا عند حيدر باشا وقال حيدر باشا للمتصلحين والسائلين في ذلك : يترك الإمام القاسم بلاد حضور للسلطنة العثمانية ويهولوا عند جعفر باشا .بمضرة حضور على صنعاء وأن مشربها منه وأنه لم يتمكن من الصلح عليه إلا بإطلاق ابن الإمام، ويكتب سجلاً وشهادة العلماء في صنعاء وعظماء العجم والعرب ويخرجوه وأتموا على ذلك، ووصل القاضي إلى الإمام عليه السلام وأخبره فطلب العلماء وأهل الفضل من خواصه فكلهم استرجح ذلك فلما سمعهم الإمام عليه السلام قال: لا يراني الله تعالى أخونه في بلاده وعباده.

ثم ذكر كم في هذه البلاد المذكورة من نفوس وقال: أبيعها بنفس واحدة! ثم قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ((**لعن الله إماماً يتجر في رعيته**)) أو ما معناه، فبكى القاضي عامر وذكروا حاجتهم الكبيرة إلى ولده الحسن، فقال الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ: أنا مُستودِع ولدي من هو أقدر على خلاصه ولعل الله سبحانه يسهل له المخرج أو كما قال مع أنه كان قد رضي مشائخ حضور والحيمة بذلك لكن الإمام القاسم عَلَيْهِ السَّلَامُ رفض أن يعطيهم رجلاً واحداً دخل تحت بيعته مقابل ولده، هذه معاملة إسلامية عظيمة فأين زعماء العرب اليوم من الإهتمام برعيتهم ومساواة أولادهم مع سائر أفراد الرعية مع أنهم قد يهلكون الحرث والنسل من أجل أبنائهم أما الآخرون من الناس فلا يلتفت إليهم قتلوا أم أسروا أم ماتوا فلا حاجة له إليهم ولا هم له في قضاء حوائجهم والله المستعان وعليه التكلان في تغيير هذه المظالم وإبادة الكراسي وأهلها وإقامة دولة العدل والرشاد .

أمثلة أخرى

نحن بحاجة إلى أئمة ينشرون العدل ويحبون الخير ويعتادون الإنصاف ويطبقونه على أنفسهم ويحفظون أموالهم .

فهذا الإمام المؤيد بالله عليه السلام كان في سفر فطلب حاجة من ملبوسه .

فقيل له : هي على بغل لبيت المال .

فقال عليه السلام : متى عهدتني أستجيز حمل ملبوسي على دواب بيت المال .. وأنكر ذاك جداً .

وحُمل إلى دار الإمام المؤيد بالله عليه السلام شيئاً من العشر ليصرفه في مصالح المسلمين فالتقط الدجاج منه حبات فغرم من ماله أضعاف ذلك ، وقيل : إنه صرف الدجاج إلى بيت المال .

وكان إذا دخل الحمام استأجره بثمن معلوم ويستأجر الحمامي لحفظ ثيابه .

موقف الإمام يحيى حميد الدين مع أهل حوث

ومن أعجب الحكايات الصادقة ما جرى بمدينة حوث وفي ذلك الحين كان علي وإبراهيم ابنا الإمام يحيى حميد الدين ولهما السلطة بحوث كونهما ولدي الإمام يحيى، فتأذى أهل حوث من بعض تصرفاتهم فأجمعوا ذات ليلة على تحطيم السيارة التي هي السيارة الوحيدة التي يملكها أولاد الإمام يحيى وأما غيرهم فكان الناس آنذاك لم يملكوا شيئاً ، فقاموا بإحراقها ليلاً وتدميرها فغضب علي وإبراهيم لهذا الموقف فقاموا بحبس الناس والنيل منهم فبعث السيد

العلامة جمال آل محمد علي بن الإمام المهدي محمد بن القاسم الحوثي برقية مستعجلة إلى الإمام المتوكل على الله يحيى حميد الدين وأخبره بما يقع من ولديه وماهي إلا قلائل ولحظات حتى رجع جواب العدالة والإنصاف بقلم الإمام يحيى حميد الدين رحمه الله قائلاً: يا أهل حوث دافعوا عن أنفسكم ولو بالقتل حتى يصل إليكم الولد أحمد، أين زعمائنا اليوم وماذا يفعل أبنائهم ؟! وهل أمروا الناس بالدفاع عن أنفسهم ولو بالقتل لأبناء الزعماء والسلاطين؟! .

ما فعله الإمام يحيى – رحمه الله – هو عين العدالة وهذه أفعال الأئمة الهادين وأقوالهم وبالفعل وصل الإمام أحمد حميد الدين رحمه الله إلى مدينة حوث وأخذ إخوته على جهة الحيلة حتى أمسك بهما وأوصلهما إلى والدهم الإمام يحيى – سلام الله عليه – وهناك أدخلهم السجن بصنعاء لفترة ثم منعهما عن مدينة حوث و لم يدخلاها بعد ذلك ، و لم يؤذ الإمام المتوكل على الله يحيى – رحمه الله – أهل حوث بأي أذية و لم يحملهم قيمة السيارة التي أحرقوها ولا غيرها ، فهذه السيرة العادلة هي سيرة رواد العدالة القائمون بالحق الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ**﴾[٣٩].

---

[٣٩] الأنعام: من الآية ٩٠



حكاية الإمام محمد بن إبراهيم مع أبي السرايا

اعلم أنه كان من رأي الإمام محمد بن إبراهيم – أخو الإمام القاسم بن إبراهيم الرسي – سلام الله عليهما – أن لا يقاتل العدو حتى يدعوهم ولا يجيز أن يبيتهم ويكمن لهم فيقتلهم في كمين أو نحوه، وفي إحدى الأيام كان الإمام محمد بن إبراهيم مريضاً مرض الموت وأمر أبا السرايا وكان رجلاً مخلصاً للعترة الطاهرة يشبه مالكاً الأشتر بالقتال وتقدم أبو السرايا بالجيش فبيّت العدو وأغار عليهم فقتل الكثير منهم فلما أخبر الإمام محمد بن إبراهيم سلام الله عليه بذلك غضب غضباً شديداً على أبي السرايا فقال أبو السرايا رحمه الله: لابد للحرب من هذه الخطط لقتل العدو والقضاء عليه.

فأنكر الإمام عليه السلام ذلك فإن رأيه عدم جواز التبييت فطلب أبو السرايا من الإمام أن يعفو عنه لخطئه وأن يستغفر الله له فدعا له الإمام عليه السلام وطلب منه أن لا يعود إلى ذلك .

فهذا مما يدل على ورع الأئمة الهداة في أفعالهم وأقوالهم ، وأنهم لا يريدون من عدوهم قتلهم وإزهاق أرواحهم فقط، إنهم يريدون أن يدعوهم إلى دين الله عسى أن الله تعالى يهديهم ويصلح أمورهم ، وهؤلاء رواد العدالة لا يحملون على الناس.

وهناك أمثلة أخرى كثيرة عن العدل وإقامة الميزان بين الناس لكنني اكتفيت ببعضها لتكون نوراً يهتدى به إلى غيره، ومعرفة لأولياء الله سبحانه في عصره...

أهل البيت عليهم السلام فيهم تثبيت العدالة وترسيخ الدين

وهناك أمثلة كثيرة تدل على إخلاص أهل البيت – عليهم السلام – لله سبحانه وتعالى وأنهم لا يريدون الظلم بال يريدون الحرية ونشر الدين وصلاح أمر الأمة.

فمن ذلك قول أمير المؤمنين علي عليه السلام (**والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها جُلب شعيرة ما فعلته وإن دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة تقضمها فما لعلي ونعيم يفنى ولذة لا تبقى، نعوذ بالله من سبات العقل وقبح الزلل وبه نستعين**) .

وخطبته العظيمة في التبرء من الظلم، والله لأن أبيت على حسك السعدان مسهداً أو أجر في الأغلال مصفداً أحبّ إلي من أن ألقى

الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد وغاصباً لشيء من الحطام، ومنها ذكر موقف عقيل وقد تقدم ذكر ذلك .

وسياسة الإمام علي عليه السلام وعدالته تتضح للإنسان من كتابه لمالك الأشتر رحمه الله تعالى.

- ومن هؤلاء الإمام الحسن السبط المسموم – سلام الله عليه – فقد وقع منه الصلح لأجل إصلاح الأمة وإعادة البناء من جديد بعد أن ظهر له الإختلال، ولذلك لما لامه بعض أصحابه المخلصين على الصلح أوضح لهم قائلاً (إنما حقنت دمائكم) ولولاه ما قامت ثورة الإمام الحسين المظلوم – سلام الله عليه – وقد أوضحت حال الأمام الحسن – صلوات الله عليه – في كتاب [صلح الإمام الحسن بن علي] وقد طبع .
- أما الإمام الشهيد المظلوم الحسين بن علي – سلام الله عليه – فقد ضحى من أجل إصلاح هذه الأمة بدمه الزكي وعلَّمنا منهاج الحرية ورسم لنا طريق العدالة والتضحية وهاهو سلام الله عليه يقول (**إذا كان دين ربي لا يستقيم إلا بقتلي فيا سيوف خذيني**) ، لله أنتم من أهل بيت تضحية وفداء وعزة، حياتكم من أجل الله واستشهادكم في سبيله .
- أما الإمام الأعظم زيد ين علي – سلام الله عليه – فقد ضحى من أجل إصلاح هذه الأمة وقد تناقل قوله واشتهر

على الألسن ، ونقل في الكتب وأذاع به القاصي والداني وهو قوله عليه السلام (**والله لوددت أن يدي ملصقة بها فأقع إلى الأرض أو حيث اقع فأتقطع قطعة قطعة وأن الله أصلح بي أمة محمد صلى الله عليه وآله**)

- وهذا الإمام القاسم بن إبراهيم نجم آل الرسول عليه السلام كان أكثر همّه هو حياة الناس ، هو أن يرى دولة العدل قد ظهرت والخيرات قد انتشرت ولذلك قال عليه السلام :

عَسَى بِالْجُنُوبِ الْعَارِيَاتِ سَتَكْتَسِي ... وَبِالْمُسْتَذَلِّ الْمُسْتَضَامِ سَيُنْصَرُ

عَسَى مَشْرَبٌ يَصْفُو فَتُرْوَى ظُمَيَّةٌ ... أَطَالَ صَدَاهَا الْمَنْهَلُ الْمُتَكَدِّرُ

عَسَى جَابِرُ الْعَظْمِ الْكَسِيرِ بِلُطْفِهِ ... سَيَرْتَاحُ لِلْعَظْمِ الْكَسِيرِفَيُجْبَرُ

عَسَى اللَّهُ لاَ تَيْأَسْ مِنَ اللَّهِ إِنَّهُ ... يَسِيرٌ عَلَيْهِ مَا يعزُّ وَيَكْبُرُ

عَسَى صُوَرٌ أَمْسَى لَهَا الْجَوْرُ دَافِناً ... سَيُنْعِشُهَا عَدْلٌ يُنِيرُ فَتَظْهَرُ

عَسَى بِالأُسَارَى سَوْفَ تَنْفَكُّ عَنْهُمُ ... وَثَائِقُ أَدْنَاهَا الْحَدِيْدُ الْمُسَمَّرُ

وهو بهذا كان يأمل قيام دولة للحق ونشر العدالة في الأزمان والعصور ولو لم يتحقق ذلك إلا في دولة مهدي آل محمد عليهم السلام .

وكان الإمام الهادي عليه السلام يفصح عن حبه العدل والإصلاح الديني الذي يخدم الناس في دنياهم وآخرتهم يردد ألفاظاً توحي بنفسية عالية (وددت لو أججت لي ناراً ثم أقذف فيها وأمضي إلى رحمة الله سبحانه وأن الله يصلح بي أمر هذه الأمة) أو نحو هذا القول ، وقد روي ما يشبهه عن مولانا الإمام الأعظم زيد بن علي عليه السلام وهذه النفسية هي نفوس المتقدم والمتأخر من عترة الرسول وسلالة الوصي والبتول سلام الله عليهم أجمعين.

- وهاهم يظهرون العدالة ويحبون الإنصاف ويطبقونه على أنفسهم وأولادهم وأحبابهم وأنصارهم وأعدائهم على حدٍ سواء فقد اشتهر وظهر بين المؤالف والمخالف ما كان عليه أهل البيت عليهم السلام من العدل والإستقامة ممن تمكن في البلاد ، فقد كان عدل الإمام الناصر الأطروش عليه السلام مما تناقله المؤرخون كافة الأعداء منهم والأولياء، واشتهر اشتهاراً لا

ينكر ولما ظهر الإمام إدريس بن عبدالله عليه السلام أظهر العدالة في المغرب .

وضربت أمثال العدل وتناقلتها الألسن وصار بها الركبان وذلك بعدل الإمام الداعي الحسن بن القاسم وعدل الداعي محمد بن زيد عليهم السلام، وقد ذكرت لك وأوجزت فيما سبق ما يغنيك ويرشدك إلى ما لم أذكره وأطنب فيه ، وقد بلغت تحقيق المراد لمن أراد أن يفهم الحقائق ويعرف أهل العدالة في كل زمان وعلى اختلاف الظروف وتغيرات الأزمان، أما الدعاوى الفارغة أو القول بالعدل لفظاً لا معنى فتدَّعيه دول الكفر والظلم كافة في شتى العصور كما ادعته في عصرنا وتدعيه أمريكا وسائر دول الكفر وكما ادعاه ويدعيه زعماء الدول العربية في هذا العصر وهلمّ جرّا لكنك ستعلم حقيقة العدالة في كل زمان (**ألا لا تخلو الأرض لله من قائم لله بحجة إما ظاهراً مشهوراً، وإما خائفاً مغموراً**) فحجج الله سبحانه وتعالى لعباده قائمة مهدي بعد مهدي حتى يظهر القائم بحجة الله سبحانه من ذرية الحسنين عليهما السلام وهو المنتظر في آخر الزمان والذي قال عنه جده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم (**يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً**) وبهذا يتبين هدف أهل بيت النبي –

سلام الله عليهم– في السعي والجد لإحياء هذه الأمة بدين الله سبحانه وتعالى وإرساء قواعد العدالة وتطبيقها وبهذا يتحقق أنهم وطريقتهم المشار إليهم بقوله سبحانه عز من قائل عليماً حكيماً ﴿**تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَلا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**[٤٠]﴾ .

الخاتمة

خلاصة الكلام أننا عشنا في أمة مضطربة جداً قد كثر التمزق فيها والإختلاف وظهرت البدع وانتشر الباطل وتحلى بعض المتسترين بلباس الدين والتقوى فصار الحال أن الناس لم يهتدوا إلى صواب ولم يفهموا لحن الخطاب فألسنة الدعاة إلى الله سبحانه صار يقاوموها تلك الألسنة الحداد، فالقائل يقول : مع من أكون وأين أكون ؟ أو كيف أعرف الحق من الزيف؟! .

كان من لوازم ذلك أن جمعت ما رأيتموه من الحكايات والأمثلة لرواد العدالة محاولاً الإيجاز لكثرة ملل الناس من الإطناب ورأيت أن إظهار تلك الأمثلة هي التي يتضح بها من هم دعاة الحق من غيرهم ...

[٤٠] القصص:٨٣



إن القرآن الكريم لما ذكر لنا قصص الأنبياء وأخبار أقوامهم ليكون أسهل لنا وأقرب في الفهم فلذلك رأينا أن من الواجب أن نذكر ولو بعضها – كما فعلت – لترى الحق أمامك ، فمن صار على مثل تلك الطريقة من الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإرشاد المسترشدين وتعليم الجاهل وبث العدل ونشره والإنصاف وقول الحق ولو على نفسه وولده وأقاربه وأتباعه متمثلاً قول الله جلت قدرته ﴿**كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقِيراً فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً**[٤١]﴾

وكان الداعي إلى الله تعالى من الصادقين فقد أمرنا باتباعهم كما قال ذو الجلال والإكرام ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**[٤٢]﴾ .

فبهذا سنعرف من خلال الواقع مع من نكون ؟! ومن الحق معه؟! ولقائل أن يقول إنكم لم تذكروا من قام بالعدل ممن تولى على الناس كعمر بن عبد العزيز وغيره ؟

---

[٤١] النساء:١٣٥ -
[٤٢] التوبة:١١٩



قيل له : وفقنا الله وإياك إنما كنت أذكر رواد العدالة فقط لامن حكم بالعدل ممن اقتدى واتبع، ثم إنه من المعلوم أن أهل البيت عليهم السلام هم الذين أمر الله باتباعهم والتمسك بهم بقوله ﷺ فيما تواتر عنه (**إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض**) وكحديث السفينة والأمان والنجوم كثيرة مذكورة في كتب أهل البيت كافة وفي كتب الأمة عامة .

لهذا من قام بالحكم العدل فهو تابع لهؤلاء الأئمة – سلام الله عليهم – مع أنني لم أذكر كل إمام من أهل البيت عليهم السلام إما لأنني لم أطلع على سيرته كاملة، أو لكون أهل التاريخ والسير كانوا ينقلون أوصافاً وجملاً عن عدالتهم دون تفصيل، وإما أن بعضهم لم يتمكن من الحكم والسيطرة والإستيلاء وقد كانوا – عليهم السلام – على منهج واحد وقسط يحكمون على أنفسهم بأنهم إن ظلموا أو ظهر من أحدهم شيئاً من العصيان فلا طاعة لهم وهذا هو عين العدالة والإنصاف فما منهم – عليهم السلام – أحد أنكر قاعدة وجوب الخروج على الظالم وهذا بيِّن بحمد الله تعالى ، ثم إن الله سبحانه لم يذكر كل نبي من الأنبياء بل ذكرهم إجمالاً ثم فصَّل مواقف بعضهم، وهذا هو عين ما فعلناه، ولابد من السعي بجد وجتهاد لتحقيق ذلك في واقعنا وأن نتبع سلفنا الصالح من أهل

البيت عليهم السلام في القيام بالمسئولية ومع تعاون الجميع سنحقق ما حققوا ونظهر العدالة ويتحقق لنا وعد الله سبحانه الصادق

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[٤٣]

﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾[٤٤]

وأستمد من الله التسديد والتوفيق في القول والعمل وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم وأن يعجل بالفرج ويحسن لنا المخرج فقد بلغ الظلم منتهاه فأنت ربي المعين وأعظم مسئول في إعانتنا على تحقيق العدالة وهلاك الظالمين وعزة المسلمين ﴿ **رَبَّنَا أَفْرِغْ**

---

٤٣ النور:٥٥

٤٤ القصص:٥

عَلَيْنَا صَبْراً وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ[45]﴾ ﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ[46]﴾

وصلِّ اللهمّ وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين، تم الكتاب بعون الله تعالى في شهر ربيع الأول سنة ١٤٣٣هـ بهجرة آل العامري ولد مسعود بصعدة حرسها الله بالصالحين .

وكتب الراجي عفو ربه أبو الحسنين **قاسم بن حسن بن قاسم بن أحمد السراجي** الحسيني عفا الله عنهم .

فهرس

---

[45] الأعراف: من الآية١٢٦
[46] البقرة: من الآية٢٥٠

